مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/10.62810/jis.v2i2.242

السنة النبوية في مواجهة التحديات دراسة تحليلية لأسباب التجديد في علوم الحديث

الباحثة:

خديجة التازي، طالبة بسلك الدكتوراه، قسم علوم الحديث، كلية أصول الدين بتطوان، جامعة عبد المالك السعدي، تحت إشراف الدكتور محمد إلياس المراكشي – المغرب العربي.

البريد الالكتروني: tazikhadija٢٦@gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (٢٠ جمادى الأولى ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (٢٨ جمادى الأولى ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (١١ جمادى الآخرة ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٢٩ جمادى الآخرة ١٤٤٧)

الملخص: يهدف هذا البحث إلى دراسة أسباب التجديد في علوم الحديث في ظل ما تواجهه السنة النبوية من تحديات فكرية وثقافية معاصرة، وذلك من خلال تحليل الدوافع العلمية والواقعية التي جعلت العلماء يدعون إلى التجديد في هذا العلم الشريف. فقد أصبحت السنة في عصرنا عرضةً لكثير من الشبهات، التي تستوجب تجديد طرائق عرض علوم الحديث ومناهجه، بما يواكب التحولات الفكرية والاجتماعية، دون المساس بأصول هذا العلم أو ثوابته. ويركز البحث على أن التجديد المقصود هو تجديد إصلاحي مقيد بالضوابط العلمية، يقوم على إحياء روح العلم، وتبسيط مناهجه، وتصحيح المفاهيم، وتفعيل دوره في خدمة السنة والدفاع عنها، وربطها بواقع الأمة ومتطلبات الحياة المعاصرة. وقد تم اعتماد المنهج الاستقرائي لاستخلاص أبرز التحديات التي واجهت السنة النبوية، سواء في مراحلها الأولى كتحدي الوضع والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، أو تحدي إنكار حجية السنة. أو في واقعنا المعاصر كتحدي التأثر بالثقافات الأجنبية وانتقادات المستشرقين للسنة النبوية. كما تم اعتماد المنهج التحليلي في دراسة أسباب التجديد في علوم الحديث، من خلال تحليل العوامل الفكرية والاجتماعية والعلمية التي أسهمت في ظهوره. وقد خلص البحث إلى أن التجديد في علوم الحديث ضرورة علمية لحماية السنة النبوية، وضمان استمرارية عطائها، ومواجهة ما يعترضها من تشويه أو تحريف.

الكلمات المفتاحية: التجديد، التحديات، السنة النبوية، علوم الحديث، مواجهة.

The Prophetic Sunnah in the Face of Challenges: An Analytical Study of the Reasons for Renewal in the Sciences of Hadith

ABSTRACT: This research aims to study the reasons behind the renewal of Hadith sciences in light of the intellectual and cultural challenges facing the Prophetic Sunnah today. It analyzes the scientific and practical motives that have led scholars to call for renewal in this noble discipline. In the modern era, the Sunnah has become the target of numerous doubts and misconceptions, necessitating a renewal of the methods of presenting and teaching Hadith sciences that keep pace with intellectual and social transformations—without compromising the discipline's foundations or constants. The study emphasizes that the intended renewal is a reformative one, bound by scholarly principles. It seeks to revive the spirit of the discipline, simplify its methodologies, correct misunderstandings, activate its role in defending the Sunnah, and connect it to the realities and needs of contemporary life. The inductive method was adopted to identify the main challenges faced by the Sunnah, whether in the early stages—such as the fabrication of Hadiths and the denial of the Sunnah's authority—or in the modern context —such as the influence of foreign cultures and Orientalist criticisms. The analytical method was also used to examine the intellectual, social, and scientific factors that contributed to the emergence of renewal efforts. The study concludes that renewal in the Hadith sciences is a scholarly necessity to protect the Prophetic Sunnah, ensure its continued impact, and confront any distortion or misrepresentation that may threaten it.

Keywords: Challenges, Confrontation, Hadith Sciences, Prophetic Sunnah, Renewal

المقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وجعل سنته المطهرة بيانًا للقرآن وتفصيلًا لأحكامه، فكانت المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله تعالى. وقد تلقّاها الصحابة والتابعون بالحفظ والرعاية، حتى نشأت حولها علوم دقيقة عُرفت بعلوم الحديث، هدفها صيانة السنة وتمييز صحيحها من سقيمها، فكانت الحصن الذي حمى الدين من التحريف والدخيل. غير أنّ السنة النبوية لم تسلم عبر تاريخها من التحديات، إذ تعاقبت عوامل فكرية وثقافية أثّرت في تلقيها وفهمها ونقلها، وازدادت حدّتها في العصر الحديث بفعل التحولات المعرفية والاجتماعية وانتشار الشبهات الفكرية، مما أبرز الحاجة إلى تجديدٍ علميٍّ منضبط يبعث الحيوية في علوم الحديث ويجعلها أكثر قدرة على مواجهة المستجدات.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة الموسومة بـ: "السنة النبوية في مواجهة التحديات: دراسة تحليلية لأسباب التجديد في علوم الحديث"، وقد دفعني إلى تناول هذا الموضوع لما له من أهمية في رصد الدوافع العلمية والواقعية التي جعلت العلماء المعاصرين يدعون إلى تجديد هذا العلم الشريف، وتحليل سياقه الفكري للكشف عن أثر ذلك في خدمة السنة النبوية والدفاع عنها.

إشكالية البحث:

تواجه السنة النبوية في العصر الحالي عددًا من التحديات الفكرية والعلمية والاجتماعية التي أثّرت في مكانتها وفي طرق التعامل معها. كما أن بعض المناهج التعليمية والبحثية في علوم الحديث لم تواكب هذه التغيرات، مما أدى إلى الحاجة للتجديد في هذا العلم. ومن هنا تبرز مشكلة هذا البحث في محاولة فهم الأسباب التي أدت إلى الدعوة إلى التجديد في علوم الحديث، وبيان كيف يمكن لهذا التجديد أن يسهم في حماية السنة النبوية ومواكبة متطلبات العصر دون الإخلال بأصول المنهج الحديثي.

ويتفرع عن هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الفرعية، وهي كالآتي:

- كيف أسهمت التحديات الأولى في نشأة علوم الحديث؟
- ما أبرز التحديات المعاصرة التي تواجه السنة النبوية في ظل التحولات الفكرية والتقنية؟
- ما الأسباب العلمية والفكرية التي تجعل التجديد في علوم الحديث ضرورة في هذا العصر؟
- كيف يمكن أن يتحقق التجديد في علوم الحديث دون المساس بأصوله ومناهجه الراسخة؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- الكشف عن أهم التحديات العلمية والواقعية التي دفعت العلماء المعاصرين إلى الدعوة للتجديد في هذا العلم.
- تحليل الأسباب التي دفعت العلماء المعاصرين إلى الدعوة للتجديد في علوم الحديث.
- إبراز دور التجديد في حماية السنة النبوية، والدفاع عنها من الشبهات.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في أنه:

- يبيّن التحديات التي تواجه السنة النبوية في الماضي والحاضر.
- يوضّح الأسباب التي دعت علماء الحديث إلى التجديد في علوم الحديث وأثرها في حماية السنة.
- يساعد على فهم معنى التجديد المنضبط بضوابط المحدثين.

الدراسات السابقة:

تناولت مجموعة من الدراسات قضية السنة النبوية والتحديات المعاصرة التي تواجهها، كما تناولت دراسات أخرى قضية التجديد في علوم الحديث، نذكر منها:

- السنة المطهرة والتحديات لنور الدين عتر: ناقش فيه المؤلف بعض التحديات التي واجهت السنة النبوية في القرن الثالث الهجري، وخصوصًا أثر الاحتكاك بالثقافات الأجنبية، وبيّن كيفية مواجهة هذه التحديات من خلال الاعتماد على منهج المحدثين.
- السنة النبوية في مواجهة التحديات والشبهات المعاصرة، للدكتور مهدي أيمن: عرض فيه المؤلف أبرز الشبهات التي واجهت السنة النبوية في العصر الحديث، وبيّن الطرق التي اعتمدها العلماء المسلمون لمواجهتها والرد عليها.
- بحث بعنوان: "جهود التجديد في علوم الحديث — دراسة تحليلية نقدية– للدكتور محمد ناصيري: يتناول فيه مناهج النقد الحديثي عبر التاريخ، من مرحلة الصحابة إلى تدوين أصول النقد، ويعرض البحث أبرز الجهود التجديدية، مع بيان الثابت والمتغير في علوم الحديث.
- حدود التجديد في دراسة السنة النبوية وخدمتها "للدكتور تركي بن فهد الغميز: يناقش مواضع التجديد الممكنة في علوم السنة، وكذلك الحدود التي لا ينبغي تجاوزها. وهو يلامس جانبًا مهمًا من بحثي، خصوصًا ما يتعلق بضوابط التجديد، إلا أنه لا يتوسع كثيرًا في معالجة التحديات الفكرية المعاصرة التي تتعرض لها السنة.

منهج البحث:

بالنسبة لطبيعة هذا البحث أستطيع القول إنها تتسم بمنهج استقرائي الذي يقوم على تتبع أبرز التحديات التي واجهت السنة النبوية، سواءً في مراحلها الأولى أو في واقعها المعاصر، من خلال جمع النصوص التي تبرز طبيعة هذه التحديات ومظاهرها المختلفة. وبمنهج تحليلي في دراسة أسباب التجديد في علوم الحديث، بتحليل العوامل الفكرية والعلمية والاجتماعية لذلك التجديد.

خطة البحث:

تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة ومدخل تمهيدي ومبحثين وخاتمة.

المدخل التمهيدي المعنون بالتحديات التي واجهت السنة النبوية في القرون الأولى وأثرها في نشأة علوم الحديث.

المبحث الأول: التحديات التي واجهت السنة النبوية في الفترة المعاصرة.

المبحث الثاني: الأسباب الداعية إلى التجديد في علوم الحديث.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث التمهيدي: التحديات التي واجهت السنة النبوية في القرون الأولى وأثرها في نشأة علوم الحديث:

المطلب الأول: الوضع والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم:

من أبرز التحديات التي واجهت نقل السنة النبوية منذ بداياتها، الوضع والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم. فقد استغل بعض الأفراد والفرق اختلاف الوعي الديني وضعف المعرفة بين الناس لنشر أحاديث مكذوبة، سواء بدافع الحقد على الإسلام أو أتباع الهوى الشخصي. وقد شكل الوضع والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم تحديًا خطيرًا للسنة النبوية، لأنه يهدد صحة نقل النصوص النبوية ويخل بأساس التشريع. يقول ابن الأثير: "فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة، وتشكيك ضعفة العقول في دينهم، بأمور قد ضبطها المحدثون، وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه"[١].

وقد ظهر الوضع خلال عهد الصحابة والتابعين، حين بدأت طوائف متعددة مثل الرافضة وبعض المنافقين استغلال الفتن السياسية لاختلاق أحاديث تشوه الدين وتثير الفتنة، يقول ابن تيمية مؤكدًا لهذا المعنى: "كان من وضع قوم زنادقة منافقين، مقصودهم الطعن في القرآن والرسول ودين الإسلام، فوضعوا من الأحاديث ما يكون التصديق به طعنًا في دين الإسلام، وروجوها على أقوام، فمنهم من كان صاحب هوى وجهل، فقبلها لهواه، ولم ينظر في حقيقتها. ومنهم من كان له نظر فتدبرها، فوجدها تقدح في حق الإسلام، فقال بموجبها، وقدح بها في دين الإسلام إما لفساد اعتقاده في الدين، وإما لاعتقاده أن هذه صحيحة وقدحت فيما كان يعتقده من دين الإسلام، ولهذا دخلت عامة الزنادقة من هذا الباب "[٢].

كان للخلافات السياسية دور كبير في انتشار الوضع، قال أشهب بن عبد العزيز سئل مالك عن الرافضة، فقال: لا تكلمهم، ولا ترو عنهم، فإنهم يكذبون"[٣]. وقال الإمام الشافعي: "ما رأيت في أهل الأهواء قومًا أشهد بالزور من الرافضة". وذكر أبو يعلى الخليلي في

---

١ ابن الأثير، عز الدين، ١٩٩٧م، الكامل في التاريخ، تح: عمر تدمري، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ٦، ص: ٥٨١.

٢ تقي الدين ابن تيمية، ١٩٨٦م، منهاج السنة النبوية، تح: محمد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٧، ص: ٩.

٣ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ١، ص: ٦٠.

كتابه الإرشاد قائلًا: "قال بعض الحفاظ: تأملت ما وضعه أهل الكوفة في فضائل علي وأهل بيته فزاد على ثلاثمائة ألف"[١]. ويظهر من ذلك أن الوضع لم يكن مجرد خطأ فرديًا، بل استراتيجية متعمد من بعض الفرق لإرباك العامة وتحريف الدين.

ولم يقتصر الوضع على الدوافع السياسية، بل شمل العصبية للجنس والقبيلة واللغة، حيث ابتدع البعض أحاديث لتفضيل قبائل أو شعوب معينة، مثل الشعوبيين الذين وضعوا: " إِنَّ اللَّهَ إِذَا غَضِبَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَإِذا رَضِي أنزل الْوَحْي بِالْفَارِسِيَّةِ. قَالَ ابْن حبَان: هَذَا الحَدِيث بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ"[٢]. وكذلك وضع بعض المتعصبون أحاديث في فضل بعض الأئمة أو ذم آخرين، مثل: "سيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي"، و" وسيكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس، فتنته على أمتي أضر من إبليس"[٣]. ومن هذا يظهر أن الوضع كان يتخذ عدة أشكال لخدمة أهواء الأفراد والجماعات، سواء كانت سياسية أو قبلية أو مذهبية.

كما امتد الوضع إلى القصص والوعظ، حيث ابتدع بعض الزهاد والعباد أحاديث للترغيب والترهيب ظنًا منهم أنهم يخدمون الدين، ويحببون الناس في الطاعات. فلما أنكر العلماء صنيعهم وذكروهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: إِنَّمَا هَذَا الْوَعيد لمن كذب عَلَيْهِ، وَنحن نكذب لَهُ ونقوى شَرعه، وَلَا نقُول مَا يُخَالف الْحق"[٤].

خلاصة القول أن تحدي الوضع في الحديث والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له أثر مباشر على نشأة علوم الحديث، إذ دفع علماء الحديث إلى ابتكار منهجيات دقيقة للتحقق من صحة الأحاديث، فبرز علم الجرح والتعديل وقواعد التمييز بين الصحيح والضعيف والمقبول والمردود، بما ساهم في الحفاظ على السنة وبيان حجيتها أمام هذه التحديات. قال ابن الجوزي: "ولما لم يمكن أحد أن يدخل في القرآن شيئا ليس منه أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقصون ويبدلون ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله عزوجل علماء يذبون عن النقل، ويوضحون الصحيح ويفضحون القبيح، وما يخلى الله عزوجل منهم عصرا من العصور"[٥].

قال مسلم في صحيحه: "واعلم، وفقك الله تعالى، أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها. وثقات الناقلين لها، من المتهمين. ألا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه. والستارة في ناقليه. وأن يتقي منها ما كان منها من أهل التهم والمعاندين. من أهل البدع"[٦].

---

١ أبو يعلى الخليلي، ١٤٠٩هـ، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح: محمد إدريس، ط١، الرياض: مكتبة الرشد ١، ص: ٤١٩.

٢ جلال الدين السيوطي، ١٩٩٦م، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تح: صلاح بن عويضة، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١، ص: ١٨.

٣ جمال الدين ابن الجوزي، ١٩٦٦م، الموضوعات، تح: عبد الرحمن عثمان، ط١، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ٢، ص: ٤٩.

٤ ابن الجوزي، الموضوعات، ١، ص: ٩٨.

٥ ابن الجوزي، الموضوعات، ١، ص: ٣١.

٦ مسلم بن الحجاج النيسابوري، ١٩٥٥م، صحيح مسلم، فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١، ص: ٨.

المطلب الثاني: إنكار حجية السنة:

لقد أوحى الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم القرآن، وأوحى له أيضًا بالسنة النبوية الشريفة، لتكون سندًا أصيلاً في الدين وركنًا متينًا لبنائه، يستلزم اتباعها ويحرّم مخالفتها. وقد اتفقت الأمة على وجوب العمل بها، وقد جاء التأكيد على ذلك في آياتٍ كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ﴾[١]. وقال: ﴿مَّنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدَ اَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظا﴾[٢]. وهذه النصوص القطعية الدلالة والورود تجعل حجية السنة أمرًا ثابتًا لا يحتمل الجدل.

وعلى الرغم من وضوح مكانة السنة النبوية في الدين الإسلامي، وإثباتها بالأدلة القطعية من القرآن الكريم، فقد ظهرت في القرون الأولى طائفة شككت في حجيتها واعتبرت الاكتفاء بالقرآن وحده كافيًا للهداية والتشريع. وقد كان الإمام الشافعي أول من تصدى لهذه الشبهة، فأسّس للرد عليها في مصنفاته، مؤكدًا أن ما سنّه النبي صلى الله عليه وسلم وحي واجب الاتباع، حيث يقول: وأوْلَى أنْ لا يَشُكَّ عالمٌ في لزومها وأنْ يعْلم أنَّ أحكامَ اللهِ ثمَّ أحكامَ رسولِه لا تختلف وأنها تجري على مثال واحد"[٣]. ويقول في موضع آخر: "لقد فرض الله جل وعز علينا اتباع أمره فقال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾، قال: إنه لبين في التنزيل أن علينا فرضا أن نأخذ الذي أمرنا به وننتهي عما نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤]...قال: "ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله"[٥]. وهكذا جعل الإمام الشافعي حجية السنة أصلًا من أصول الدين، وركيزة من ركائز أصول الفقه.

ويأتي الشاطبي رحمة الله عليه ليكمل هذا المسار، مشددًا على أن الاقتصار على القرآن وحده رأي فاسد يخرج صاحبه عن الجماعة، إذ يقول: "إن الاقتصار على الكتاب رأي قوم لا خلاق لهم، خارجين عن السنة؛ إذ عولوا على ما بنيت عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شيء، فاطرحوا أحكام السنة فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله"[٦]. ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٧]، ليؤكد أن السنة بيان ضروري للقرآن، وأن تجاهلها يؤدي إلى تعطيل الكتاب نفسه، وبالتالي تعطيل شريعة الله عمليًا.

---

١ سورة الحشر، الآية: ٧.

٢ سورة النساء، الآية: ٨.

٣ محمد بن إدريس الشافعي، ١٩٣٨م، الرسالة، تح: أحمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي، ط١، مصر، ص: ١٧٣.

٤ محمد بن إدريس الشافعي، ١٩٨٣م، الأم، ط٢، بيروت: دار الفكر، ٨، ص: ٢٨٨.

٥ الشافعي، الرسالة، ص: ٧٦.

٦ أبو إسحاق الشاطبي، ١٩٩٧م، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور، ط١، دار ابن عفان، ٤، ص: ٣٢٥–٣٢٦.

٧ سورة النحل، الآية: ٤٤.

ويؤكد الشوكاني هذا المعنى بشكل قطعي، فقال: " والحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام"[١]. فيؤكد بذلك رحمه الله أن مخالفة السنة تعني مخالفة الدين كله، وأن العمل بالقرآن وحده لا يمكن إلا بالرجوع إلى بيان النبي صلى الله عليه وسلم، الذي أتمم شريعة الله على الأرض وأفاض في تفاصيل العبادات والمعاملات. وقد كان هذا التحدي المبكر دافعًا إلى تأسيس علم أصول الفقه وتثبيت حجية السنة باعتبارها مصدرًا ثانيًا للتشريع، وهو ما يشبه اليوم دعوات القرآنيين وبعض التيارات الحداثية التي تنكر السنة، كما سيأتي بيانه في المبحث الثاني بإذن الله.

المبحث الأول: التحديـــــات المعاصرة التي واجهت السنة النبوية:

المطلب الأول: التحديـــــات الداخليـــة:

الفرع الأول: انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة عبر وسائل التواصل الاجتماعي: الأسباب والحلول:

ومثلما عانت الأمة في القرون الأولى من خطر الوضع والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، فإن هذا التحديث لم ينته بانتهاء تلك العصور، بل تجدد في عصرنا الحديث بوسائل مختلفة. فقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي بيئة خصبة لتداول الأحاديث دون تحقق، مما جعل انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة أحد أبرز التحديات المعاصرة التي تواجه السنة النبوية في زمن الرقمنة وسرعة الاتصال.

أولا: الأسبـــاب:

تنوعت أسباب انتشار هذه الظاهرة، ويمكن تصنيفها إلى ما يلي:

- ✓ **حسن النية والرغبة في نشر الفضائل:** وقد أدى ذلك إلى تداول أحاديث غير ثابتة أو مكذوبة، مستندين إلى شعارات مثل "انشر تؤجر"، دون وعي بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[٢].
- ✓ **قلة الوعي الديني:** ففي غياب التوعية الصحيحة، يُعتقد أن كل ما يُقال في المحاضرات أو عبر وسائل الإعلام فهو صحيح طالما أنه يحث على الأعمال الصالحة.
- ✓ **إمكانية النشر الفوري على الانترنيت:** في عصر التكنولوجيا وتطور وسائل التواصل الاجتماعي أصبح من السهل نشر أي محتوى ومشاركته بشكل سريع وفوري مع ملايين الأشخاص في جميع أنحاء العالم. ومع سرعة انتشارها يكون من الصعب تصحيح هذه الأخطاء، مما يساهم في استمرار انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

---

١ محمد بن علي الشوكاني، ١٩٩٩م، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أحمد عناية، ط١، دمشق: دار الكتاب العربي، ١، ص:٩٧.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: ما يكره من النياحة على الميت، ١٩٩٣م، تح: د. مصطفى البغا، ط٥، دمشق: دار ابن كثير، ١، رقم: ١٢٢٩، ص: ٣٤٣.

✓ **كثرة مستعملي هذه التقنيات من مختلف الأعمار:** بلغ عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي لعام: ٢٠٢٥م، حوالي ٢٢٨ مليون مستخدم، وهي مقسمة على الشكل الآتي[١]:

عدد المستخدمين حسب الدولة:

الدولة	عدد المستخدمين (بالمليون)
مصر	٥٠,٧ مليون مستخدم
العراق	٣٤,٣ مليون مستخدم
السعودية	٣٤,١ مليون مستخدم
الجزائر	٢٥,٦ مليون مستخدم
المغرب	٢١,٣ مليون مستخدم
الإمارات العربية المتحدة	١١,٣ مليون مستخدم

من خلال الجدول، يظهر أن وسائل التواصل الاجتماعي تحظى بانتشار واسع، حيث بلغ عدد مستخدميها ٢٢٨ مليون مستخدم. وبالتالي أصبح انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة أمرًا سهلًا وسريعا في نفس الوقت. فكلما ازداد عدد مستخدمي هذه الوسائل، زادت ظاهرة تداول الأحاديث دون تحقق. وهذا يعني أن وسائل التواصل الاجتماعي تُعد بيئة خصبة لنشر الأحاديث المغلوطة والغير الصحيحة.

✓ **الانتحال باسم العلماء والدعاة:** إذ يلجأ بعض الأشخاص إلى إنشاء حسابات وصفحات تنتحل أسماء العلماء المشهورين لبث الأحاديث المكذوبة، مما يدفع العامة إلى تصديقها دون تردد.

ثانيًا: سبـــــل المعالجـــة:

أ: ما يخص الناشر:

✓ **التحقق قبل النشر:** لابد من العودة إلى المصادر الحديثية الموثوقة، أو سؤال المتخصصين قبل تداول أي حديث، حماية

١ انظر: *جريدة استدامة نيوز متخصصة في الشأن الاقتصادي*، تاريخ النشر: ٢٠٢٥/٠٤/١٤، تم الاطلاع عليها بتاريخ: ٢٠٢٥/١٠/١٢م، الرابط: https://estedamanews.com/٤٠٤٨٩/

للسنة النبوية من التحريف، وامتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[١]. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَه، أو يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا لَمْ يَقُلْ»[٢].

- ✓ **الوعي بعظم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم**: إدراك أن نشر حديث مكذوب يُعد إثمًا عظيمًا، لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَن حدَّث عنِّي حديثًا وهو يَرَى أنَّه كذِبٌ فهو أحدُ الكاذبَيْن»[٣].

ب: ما يخص المتلقي

- ✓ **الإبلاغ عن الأحاديث المكذوبة**: واجب على المسلم أن يبلغ عن الأحاديث المكذوبة للجهات المختصة أو الصفحات العلمية الموثوقة التي تعنى بالتصحيح الحديثي. وقد أشار الإمام السيوطي إلى أنه: "من سنته صلى الله عليه وسلم وَسنة الْخُلَفَاء الرَّاشِدين من بعده الذب عَن سنته وَنفي الْأَخْبَار الكاذبة عَنْهَا والكشف عَن ناقلها وَبَيَان تزوير الْكَاذِبين ليسلم من أَن يكون خَصمه رَسُول الله صلى الله عليه وسلم"[٤].

ولا شك أن بيان ضعف تلك الأحاديث، والتنبيه على عدم العمل بها، يعتبر واجبًا على جميع المسلمين، وعدم القيام بذلك يُعد تقصيرًا للأمانة العلمية، لأن ترك البيان يوهم بصحته كما يؤكد ذلك أحمد شاكر قائلًا: "الذي أراه أنّ بيان الضعف في الحديث الضعيف واجب في كل حال، لأن تركَ البيان يوهم المطلع عليه أنه حديث صحيح، خصوصًا إذا كان الناقل له من علماء الحديث الذين يرجع إلى قولهم في ذلك"[٥].

- ✓ **التوقف عن إعادة النشر دون تحقق**: حتى لو كان محتوى الحديث محمودًا في ظاهره، فإن الكفّ عن تداوله دون تثبت من صميم الأمانة العلمية والدينية، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: "أقلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما يُعمل به"[٦].

---

١ سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: نسبة اليمن إلى إسماعيل، تح: مصطفى البغا، دمشق: دار اليمامة، ط٥، ١٩٩٣م، ٣، (حديث: ٣٣١٨)، ص: ١٢٩٢.

٣رواه ابن ماجه في سننه، باب من حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا وهو يرى أنه كذب، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمَّد كامل قره بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م، قال الأرناؤوط: حديث صحيح، ١، (حديث: ٣٨)، ص: ٢٥.

٤ جلال الدين السيوطي، ١٩٧٤م، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تح: محمد الصباغ، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ص: ٩٢.

٥ أحمد شاكر، ١٤٣٥هـ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، دار ابن الجوزي، ط١، ص: ٢٠٩.

٦ شمس الدين الذهبي، ١٩٨٥م، سير أعلام النبلاء، تح: حسين أسد، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ٢، ص: ٦٠١.

الفرع الثاني: سوء استخدام الحاسب الآلي (الكمبيوتر):

شهدت السنوات الأخيرة انتشارًا واسعًا لاستخدام الحاسب الآلي والاعتماد عليه في مختلف المجالات، وهو بلا شك من مظاهر التقدم الحضاري المعاصر. وقد انعكس هذا التطور إيجابًا على خدمة السنة النبوية، إذ بادرت العديد من المؤسسات إلى إصدار كتب الحديث الستة وشروحها في صيغ رقمية، مما أتاح للباحثين والمهتمين الوصول إلى كم هائل من المصادر بسهولة ويسر، مع إمكانية البحث السريع وتخريج النصوص الحديثية، "ولا شك أن في هذا خيراً كثيراً، وفوائد عديدة، وخدمات جليلة للعلم وأهله، ولكن المبالغة في استخدام الحاسب الآلي، والاعتماد الكامل عليه في الأمور المتعلقة بالسنة قد يترتب عليه من الضرر ما ينبغي أن نحذر منه من أخطر هذه الأضرار:

أ. **العزوف عن اقتناء الكتب الورقية والاكتفاء بالمصادر الإلكترونية:** أدى انتشار المصادر الإلكترونية ورخصها إلى عزوف بعض طلبة العلم عن اقتناء الكتب الورقية، مما حرمهم من فوائد المطالعة المباشرة. وقد حذّر العلماء قديمًا من الاعتماد على الكتابة على حساب الحفظ، ثم ضعفت العناية بالحفظ مع كثرة التدوين، وامتدّ الأمر اليوم إلى ضعف الاعتماد على الكتب نفسها لصالح الحاسوب، مما ينذر بإهمال مهمّ للكتب الورقية وخسارة فوائدها العلمية"[١].

ب. **ضعف الأمانة العلمية في إعداد البرامج الحديثية واعتماد بعض الشركات على الربح التجاري:** أضف إلى ذلك أن "كثيراً من الشركات العاملة في هذا المجال لا يهمها إلا الربح المادي، وتنقصها الأمانة العلمية فقد يختصرون الكتاب أو يحذفون بعض الجمل منه دون إشارة إلى ذلك، وقد يحذفون أقوال المحققين وفيها خير كثير، وكم من معلومة أو حديث أنكر طالب العلم وجوده في كتاب معين اعتماداً على الحاسوب وهو موجود في الكتاب"[٢].

بالإضافة إلى هذه التحديات، تظهر تحديات اجتماعية تتمثل في تراجع الاهتمام بالدراسات الشرعية بوجه عام، وعلوم الحديث بوجه خاص، مما أدى إلى قلة المتخصصين في هذا المجال. كما ساهم انشغال الشباب بمظاهر الحياة العصرية في ضعف الإقبال على طلب العلم الشرعي. ومن جانب آخر تراجع دور الأسرة في غرس حب العلم الشرعي والحديث النبوي في نفوس الأبناء؛ فقد كانت الأسرة قديما تشجع أبناءها على حفظ الأحاديث وتعلمها، أما اليوم فإن انشغال الوالدين قلّل من هذا الدور التربوي المهم.

كما تبرز تحديات تعليمية تتجلى في ضعف المناهج المتبعة في المؤسسات التعليمية الشرعية، إذ ما زالت بعض هذه المناهج بعيدة عن التجديد في طريقة العرض والتحليل، ولا تواكب حاجات الطلبة ومتطلبات العصر، مما انعكس على ضعف مستوى الخريجين في علوم الحديث، وعدم قدرتهم على معالجة القضايا المعاصرة بمنهج علمي متجدد.

---

١ أيمن مهدي، ٢٠٠٥م، السنة النبوية في مواجهة التحديات والشبهات المعاصرة، ط١، ص: ٧١. بتصرف.

٢ مهدي، السنة النبوية في مواجهة التحديات والشبهات المعاصرة، ص: ٧١.

المطلب الثاني: التحديـــات الخارجيـة:

الفرع الأول: التأثر بالفلسفات الأجنبية والقراءات الأيديولوجية:

تُعد الفلسفات الأجنبية والقراءات الأيديولوجية من أبرز التحديات الفكرية التي واجهت السنة النبوية عبر التاريخ. فقد تأثر بعض العلماء المسلمين بالفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي نتيجة الاحتكاك الحضاري الذي شهده العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري وما بعده، حيث ازدهرت حركة الترجمة وانتقلت مؤلفات الفلاسفة والمناطقة من اليونانية والفارسية إلى العربية.

وقد مثّل هذا الانفتاح على الرغم من جوانبه الإيجابية تحديًا خطيرًا أثّر في بعض المفاهيم الدينية، وفي منهج التعامل مع النصوص الحديثية خصوصًا. إذ "حدث أن كثيرا من المفكرين انبهروا بأساليب المناطقة والفلاسفة، وتأثروا بها كثيرًا، حتى ظهرت فئة تأثرت بهذه المناهج في تعاملها مع علوم الحديث وأهله، بل إن منهم من راح يطعن على أهل الحديث نهجهم ويرد الأحاديث الصحيحة ويتأول النصوص القطعية الصريحة، بمجرد الأوهام التي عششت في عقولهم بتأثير العقلية المادية أو الفلسفية التي تسربت إليهم من بعض تلك الثقافات التي ترجمت عن اللغات والأمم الأخرى، حتى وجد من ينكر من الغيبيات أشياء لا يمكن إنكارها ويتأول آيات القرآن والسنة المتواترة في الملائكة والجن تأثرًا بتلك العقلية والأوهام المادية، كما أوضحه لنا العلماء في ردودهم على هذه الفرق ولا سيما معاصرهم الإمام ابن قتيبة في كتاب " تأويل مختلف الحديث" وقد وصف رحمه الله هؤلاء بأن الغرور بلغ بعضهم حدًا جعله "لو أراد أن ينتقل من الإسلام إلى أي دين من الأديان النصرانية أو اليهودية ما وجد له متسعا ولا متنقلا ينتقل إليه"[١].

ومع بداية العصر الحديث أعاد التاريخ نفسه بصورة أخرى، إذ واجه العالم الإسلامي تحديًا مشابهًا نتيجة الاحتكاك الجديد بالغرب في سياق الصدام العسكري والاستعمار الفكري. ف"منذ أول القرن الرابع عشر الهجري أعاد التاريخ نفسه باحتكاك العالم الإسلامي الراقد في سنة الغفوة مع الشرق والغرب، ونتيجة الصدام العسكري، ومحاولات الاستعمار للغزو الفكري الذي يفوق في الواقع في خبثه وخطره كل خطر فأخذت تتردد منذ ذلك الوقت وتتكرر دسائس وأباطيل حول السنة أثارها مستشرقون مغرضون متحاملون، وتلقفها بعض أبنائنا من المنبهرين بحضارة الأجنبي والمغترين بزخارفها"[٢].

لقد ردّد بعض المفكرين المحليين آراء المستشرقين دون تمحيص، حتى فاق بعضهم المستشرقين أنفسهم في عدائهم للسنة وأهلها، كما هو الحال في كتاب "أضواء على السنة المحمدية" لمحمود أبو رية، الذي تناول فيه الصحابة ولا سيما أبا هريرة رضي الله عنه

١ نور الدين عتر، ١٩٨٨ م، السنة المطهرة والتحديات، العدد الثالث، قطر: مجلة مركز بحوث السُنَّة والسيرة، ص: ١٥٥–١٥٦.

٢ عتر، السنة المطهرة والتحديات، العدد الثالث، ص: ١٥٦.

بعبارات نائية بعيدة عن أدب البحث العلمي. فقال أبو شهبة عنه: "لم يكن إِلَاّ بوقاً يُرَدِّدُ كلام جولد تسيهر المستشرق اليهودي عدو الإسلام والمسلمين"[١].

ومن صور هذا التأثر كذلك ما قام به أحمد أمين، الذي اعترف بتأثره بالمستشرقين وخشي التصريح بذلك، إذ قال كما نقل الدكتور مصطفى السباعي: "إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسباً من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم بصراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك، وألبسها ثوباً رقيقاً لا يزعجهم مسها، كما فعلت أنا في فجر الإسلام وضحى الإسلام!"[٢].

وقد وصف أبو شهبة مثل هذه الدراسات بأنها: "محررة من قواعد البحث العلمي الصحيح، ومن صحيح النقل وسليم العقل، وهي الأولى في موضوعها خلطا وسبابا وتجنيًا"[٣].

أما في الفكر المعاصر فقد استمر هذا التأثر في شكل القراءة الحداثية للنصوص، إذ تبنى الحداثيون المناهج الغربية في تفسير مصادر الإسلام. يقول شحرور: "إنّ المغالطة الكبرى تكمن في أننا عندما أردنا فهم الإسلام رجعنا بتفكيرنا من القرن ٢١ إلى القرن السابع...وفي هذه العملية جرى تشويهه"[٤].

ويقول عبد المجيد الشرفي: " ولئن كانت منظومة العلوم الإسلامية منظومة متكاملة تستجيب لظروف المجتمعات القديمة وقيمها، فإنه لا مناص من إعادة بنائها على أسس جديدة ملائمة لظروف العصر وقيمه"[٥].

وقد استندوا في ذلك إلى مناهج متعددة كاللسانية، والتاريخية والأنتروبولوجية، وكلها مستمدة من الفكر الغربي. ومع اختلاف الاتجاهات، فإن القاسم المشترك بينها هو التشكيك في ثوابت الدين وأصوله، خاصة في حجية السنة النبوية وثبوتها.

ومن هنا يتضح أن العلاقة بين الاستشراق والحداثة التي تبناها بعض المثقفين العرب علاقة وثيقة؛ فالمستشرقون مهدوا الطريق، والحداثيون تبنوا مناهجهم، حتى أصبح كثير من النقد الحداثي للسنة امتدادًا مباشرًا للمقولات الاستشراقية، وإن غُلفت بمصطلحات جديدة.

---

١ محمد أبو شُهبة، ١٩٨٩م، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، ط١، مكتبة السنة، ص: ١٣٩.

٢ مصطفى السباعي، ١٩٨٢م، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ص: ٢٣٨.

٣ أبو شهبة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، ص: ١١٦.

٤ محمد شحرور، ٢٠١٢م، السنة الرسولية والسنة النبوية، ط١، دار الساقي، ص: ٢٧.

٥ عبد المجيد الشرفي، ٢٠٠٨م، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ط٢، بيروت: دار الطليعة، ص: ٢٠٠.

الفرع الثاني: انتقادات المستشرقين والشبهات الموجهة للسنة:

أولا: معنى الاستشراق:

قبل الحديث عن انتقادات المستشرقين للسنة النبوية، لا بد من بيان معنى الاستشراق لُغَةً واصطلاحًا.

الاستشراق لغة: مصدر استشرق، وأصله(شرق)، والشرق: الضوء وهو الشمس، يقال: شَرق الْمَكَان شَرْقًا؛ أي أشرقت عَلَيْهِ الشَّمْس"[١]، وفي التنزيل: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[٢].

اصطلاحًا: الاستشراق " تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته"[٣].

قال مالك ابن نبي: "إننا نعني بالمستشرقين الكُتَّابَ الغَرْبِيِّينَ الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي، وعن الحضارة الإسلامية"[٤]. أما في الفكر الغربي، فقد عرّفه رُودِي بَارتْ بأنه:" علم الشرق أو علم العالم الشرقي"[٥]. وقال دِيتريشْ. المستشرق بأنه: "ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق"[٦].

ويقول الدكتور زقزوق هو: "المعنى الخاص لمفهوم الاسْتِشْرَاق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلِّقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا هو المعنى الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي، عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق"[٧].

ويضيف زقزوق أن الاستشراق: "يمتد إلى ما يقرب إلى ألف عام، وإن كان مصطلح مستشرق لم يظهر في أوروبا إلا في نهاية القرن الثامن عشر"[٨]. ويشير إلى أن بداياته الرسمية كانت بقرار مجمع فيينا الكنسي سنة ١٣١٢م بإنشاء كراسي لتعليم اللغة العربية، مما يدل على وجود اهتمام غير رسمي قبله.

---

١ نخبة من اللغويين، ١٩٧٢م، المعجم الوسيط، ط٣، مادة: شرق، القاهرة: دار الدعوة، ١: ٤٨٠؛ وجمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٠، ص: ١٧٥.

٢ سورة الزمر، الآية: ٦٦.

٣ مجموعة مؤلفين، ١٤٢٠ هـ، كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط٤، دار الندوة العالمية، ٢، ص: ٦٨٧.

٤ مالك بن نبي، ١٩٦٩م، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط١، دار الإرشاد، ص: ٥.

٥ رودي بارت، ٢٠١١م، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، (د. ط)، المركز القومي للترجمة، ص: ١٧.

٦ بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص: ٧.

٧ سعد المرصفي، (د. ت)، المستشرقون والسنة، (د. ط)، بيروت: مكتبة المنار، ص: ٩.

٨ محمود زقزوق، ١٩٨٩م، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط٢، القاهرة: دار المنار، ص: ٢٥-٢٧.

ومن أخطر المستشرقين تأثيرًا في دراسة السنة النبوية (جولدتسيهر) الذي لُقّب بشيخ المستشرقين، ولا تزال مؤلفاته مرجعًا لكثير منهم. وقد لخص "بفانموللر" عمله بقوله: "كان جولدتسيهر أعمق العارفين بعلم الحديث النبوي!، وقد تناول في القسم الثاني من كتابه: (دراسات محمدية) موضوع تطور الحديث تناولاً عميقًا، وراح يبحث في التطور الداخلي والخارجي للحديث من كل النواحي...! وقد قادته المعايشة العميقة لمادة الحديث الهائلة إلى الشك في الحديث[١].

ثانيًا: شبهات المستشرقين حول السنة النبوية:

إن من يتأمل كتابات المستشرقين يلاحظُ أنهم لا يطعنون في جانب واحد من الدين، بل يشككون في كل ما يتعلق بالدين كله. وكثير من شبهاتهم ليست جديدة، بل إعادة إحياء لأفكار قديمة تبنتها بعض الفرق كالمعتزلة والخوارج، ثم اندثرت بعد أن ردّ عليها علماء الإسلام، حتى جاء المستشرقون فأعادوا بثّها بثوب ونشرها بأسلوب جديد. وأهم شبهاتهم ما يلي:

أولا: مفهوم السنة في نظر المستشرقين:

يقول جولد تسيهر: "هي جوهر العادات وتفكير الأمة الإسلامية قديما وتعد شرحا لألفاظ القرآن الغامضة التي جعلتها أمرًا عمليًا حيًا"[٢]. كما ميّز بين السنة والحديث، فقال: " إن الحديث هو الشكل الذي وصلت به السنة إلينا، فهما ليسا بمعنى واحد، وإنما السنة دليل الحديث، فهو عبارة عن سلسلة من المحدِّثين الذين يوصلون إلينا هذه الأخبار والأعمال المشار إليها طبقة بعد طبقة، مما ثبت عند الصحابة أنه حاز موافقة الرسول ﷺ في أمور الدين أو الدنيا"[٣].

وهذا خلط متعمد يهدف إلى التشكيك في مفهوم السنة ومكانتها التشريعية. وبالتالي لا بد من بيان حقيقة مفهوم السنة والحديث لدحض هذا الخلط الذي انتهجه المستشرقون.

✓ **الرد على الشبهة:**

السنة في اللغة: "السيرة، حسنة كانت أو قبيحة"[٤]، وقد جاءت بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدَ اَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَآ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾[٥].

وفي الاصطلاح تتعدد بحسب المجال:

---

١ المرصفي، المستشرقون والسنة، ص: ٧. بتصرف.

٢جولد تسيهر، ١٩٤٦م، العقيدة والشريعة في الإسلام، ط١، القاهرة: دار الكاتب المصري، ص: ٤١.

٣عجيل جاسم النشمي، ١٩٨٤م، المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، ط١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص: ٨٣

٤جمال الدين ابن منظور، ١٤١٤ هـ، لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٣، ص: ٢٢٥.

٥ سورة الإسراء، الآية: ٧٧.

١. السنة عند المحدثين: "ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها "[١].

٢. عند علماء أصول الفقه، هي: " ما صدر عن الرسول من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو، ولا هو معجز ولا داخل في المعجز، وهذا النوع هو المقصود بالبيان هاهنا، ويدخل في ذلك أقوال النبي عليه السلام، وأفعاله وتقاريره"[٢].

٣. عند الفقهاء: " ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة، وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة"[٣]. أما الحديث: " فهو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة"[٤].

وهذا البيان كاف ليوضح الحقيقة ويبدد الغموض عن عقول من تأثروا ببعض الأفكار الاستشراقية، التي تحاول التشويش على فهم علم عظيم من علوم الدين، وهو علم السنة والحديث.

ثانيًا: الطعن في الأحاديث النبوية سندًا ومتنًا:

أ. زعمهم أن الحديث مزيج من أفكار اليهودية والنصراني:

يقول جولد تسيهر: "لكي نقدر عمل محمد صلى الله عليه وسلم من الوجهة التاريخية، ليس من الضروري أن نتساءل عما إذا كان تبشيره ابتكارًا وطريقًا من كل الوجوه ناشئًا عن روحه، وعما إذا كان يفتح طريقًا جديدًا بحتًا. فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرًا عميقًا والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة حقيقية عند بني وطنه"[٥].

✓ **الرد على هذا الزعم:**

إن وجود بعض أوجه الشبه بين الإسلام والديانات السابقة ليس دليلًا على الاقتباس أو التأثر، بل هو أمر طبيعي، ذلك أن مصدر الرسالات السماوية واحد، وهو الله سبحانه وتعالى. فجميع الأنبياء جاؤوا بدين التوحيد، وإن اختلفت شرائعهم. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرِيٰةَ فِيهَا هُدي وَنُور يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلذِينَ أَسْلَمُواْ لِلذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّٰنِيُّونَ وَالاَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ

١ السباعي، السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص: ٤٧.

٢سيف الدين الآمدي، ١٣٨٧هـ، الإحكام في أصول الأحكام، ط٢، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، الرياض: مؤسسة النور، ١، ص: ١٦٩.

٣ السباعي، السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص: ٤٨.

٤محمود الطحان، ٢٠٠٤م، تيسير مصطلح الحديث، ط١٠، مكتبة المعارف، ص: ١٧.

٥تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص: ٥-٦.

عَلَيْهِ شُهَدَآءَۖ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١]. فما بقي من الحق في التوراة والإنجيل هو من آثار الوحي الإلهي القديم، لا من اختراع البشر. ثم لو كان الإسلام مقتبساً من تلك الديانات، لما أمر الله تعالى بمخالفتهم ونهى عن موالاتهم، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْض وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢]. "لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخذوهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين. ثم علل النهي بقوله بعضهم أولياء بعض أي: إنما يوالى بعضهم بعضًا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر، ومن يتولَّهم منكم فإنَّه من جملتهم وحكمه حكمهم. وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله"[٣]. كما أن الصحابة الذين نقلوا لنا القرآن والسنة كانوا معروفين بالصدق والأمانة، فلو كان في الإسلام شيء مقتبس من اليهودية أو النصرانية لنقلوه كما هو، لكن شيئا من ذلك لم يُعرف، مما يدل على بطلان هذا الادعاء تمامًا. فالتشابه بين بعض الأحكام لا يعني التأثر، وإنما يؤكد وحدة المصدر الإلهي لجميع الرسالات، وأن الإسلام جاء ليكمِّلها ويُصحّح ما حُرّف منها.

ب. الطعن في رواة الحديث:

كثر في كتابات المستشرقين الطعن في رواة الحديث النبوي، بهدف التشكيك في مصدر السنة. ومن أبرز من تناولهم بالافتراء: الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، والإمام الزهر. وكان المستشرق جولد تسيهر من أوائل من أثار هذه الشبهات، زاعمًا أن بعض الرواة تأثروا بالسياسة الأموية، وأن الزهري كان يضع أحاديث لخدمة الخلفاء. يقول جولد تسيهر فيما يفتريه عل الزهري: "ولم يكن الأمويون وأتباعهم ليهمهم الكذب في الحديث الموافق لوجهات نظرهم، فالمسألة كانت في إيجاد هؤلاء الذين تنسب إليهم، وقد استغل هؤلاء الأمويون أمثال الإمام الزهري بدهائهم في سبيل وضع الأحاديث...إلخ"[٤].

✓ **الرد على هذه الشبهات:**

إن مكانة الإمام الزهري في العلم والورع تُسقِط كل شبهة أُثيرت حوله، فالناظر في كتب الجرح والتعديل وتراجم رجال الحديث يدرك بوضوح أن العلماء قد أجمعوا على توثيقه والثناء عليه، وأكدوا إتقانه وضبطه وصدقه وعدالته. ويمكن بيان ذلك من خلال ما أورده أئمة هذا الفن في حقه من كلمات الثناء والتقدير التي تُظهر مكانته الرفيعة بين رواة الحديث. أبرزها قول ابن سعد صاحب

---

١ سورة المائدة، الآية: ٤٤.

٢ سورة المائدة، الآية: ٥١.

٣ أسماء وجيه أبو صفية، ٢٠١١م، الصحبة في ضوء القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية – غزة كلية (كلية أصول الدين)، ص٧٠. نقلا عن: الزمخشري، ١٩٤٧ م، الكشاف، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١: ص٦٤٢.

٤ السباعي، السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص: ١٩١.

كتاب الطبقات: "كان الزُّهْري ثقة كثير الحديث والعلم والرواية، فقيهًا جامعًا"[١]. وقول الإمام أحمد: "الزهري أحسن الناس حديثا وأجود الناس إسنادًا"[٢]. وترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ تحت عنوان "الزهري أعلم الحفاظ"[٣].

ت. الطعن في منهج المحدثين في النقد (سند الحديث ومتنه):

زعم المستشرق الألماني جوزيف شاخت (ت١٩٦٩م) أن الأسانيد اعتباطية، يقول: "إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطي، ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي ووصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث، وكانت الأسانيد لا تجد أدنى اعتناء، وأي حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها في الإسناد"[٤].

وقال غوستاف ويت[٥]: "لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهة، ثم جمعه الحفاظ ودونوه، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن، ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث وصلنا كما هو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يضيف عليه الرواة شيئا عن حسن النية في أثناء روايتهم، ومن الطبيعي أن يكونوا قد زادوا شيئا عليه في أثناء روايتهم، لأنه كان بالمشافهة"[٦].

✓ **الرد على هذه الشبهات:**

هذه المزاعم باطلة، فقد بلغ علم الإسناد في الإسلام درجة من الدقة لم تعرفها أمة من قبل. قال ابن سيرين: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ"[٧]. وقال عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[٨]. وبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن الإسناد: "مما خص الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وجعله سلما إلى الدراية..."[٩].

---

١ محمد الزهري، ٢٠٠١م، الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٧، ص: ٤٣٩.

٢ علي ابن عساكر، ١٩٩٥ م، تاريخ دمشق، تح: محب الدين العمروي، (د. ط)، دار الفكر، ٥٥، ص: ٣٣٨.

٣ شمس الدين الذهبي، ١٩٩٨م، تذكرة الحفاظ، تح: زكريا عميرات، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١، ص: ٨٣.

٤ عبد الله الخطيب، (د. ت)، الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، (د.ط)، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، ص: ٥١.

٥ غوستاف ويت(ت١٩٧١م): مستشرق فرنسي، اشتغل مدير متحف الآثار سنة ١٨٨٧م، وكان مدير لدار الآثار العربية في القاهرة سنة ١٩٤٤م. شارك في دائرة المعارف الإسلامية.

٦ فالح الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص: ٦٢.

٧ مسلم بن الحجاج، ١٩٥٥ م، صحيح مسلم، فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١، ص: ١٤.

٨ بن الحجاج، صحيح مسلم، ص: ١٥.

٩ تقي الدين ابن تيمية، ٢٠٠٤م، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د. ط)، ١، ص: ٩.

وقد وضع علماء الحديث ضوابط دقيقة لقبول الحديث سندًا ومتنًا، منها ما ذكره الدكتور مصطفى السباعي: أن يكون سليمًا في لفظه ومعناه؛ فيُرفض ما كان ركيك العبارة، أو مصادمًا للعقل، أو مخالفًا للأخلاق العامة والحقائق المشاهدة، أو مناقضًا للطب والحكمة والسنن الكونية. كما تُردّ الروايات التي تدعو إلى الرذائل، أو تمس أصول العقيدة، أو تتضمن ما يستنكره العقلاء من سخافات، أو تعارض القرآن والسنة الثابتة والمعلوم من الدين بالضرورة، أو تخالف التاريخ الموثوق عن عصر النبوة[١].

وهذه القواعد كافية لإثبات أن علماء الحديث أولوا عناية فائقة بالمتن كما أولوا بالسند، وبذلك تسقط دعوى المستشرقين الذين زعموا أن المحدثين اهتموا بالإسناد وأهملوا المتون.

المبحث الثاني: الأسباب الداعية إلى التجديد في علوم الحديث:

بعد أن تبيّن في المبحث السابق ما تواجهه السنة النبوية من تحديات داخلية وخارجية أثّرت في واقع علوم الحديث ومناهجها، يصبح من الضروري الوقوف عند الأسباب التي دعت إلى ظهور الاتجاهات التجديدية في هذا العلم الشريف. فالتحديات الفكرية والدينية التي عرفها العالم الإسلامي كانت من أهم العوامل التي حفّزت العلماء والمصلحين على إعادة النظر في مناهج دراسة السنة، وتنقيتها من الشوائب التي علقت بها، بما يضمن استمرار رسالتها في هداية الأمة.

وقد تكفّل الله سبحانه وتعالى بحفظ دينه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ﴾[٢]، ومن مظاهر هذا الحفظ أن يقيض سبحانه للأمة في كل مرحلة من يجدد لها أمور دينها. فتجديد الدين يعني: "إحياء الاجتهاد فيه، والرجوع إلى منابعه الأصيلة، والتحرر من الجمود والتقليد، والنظر في التراث نظرة ناقدة للاستفادة من إيجابياته، وتفادي مواضع الخلل فيه، وبجوار هذا التجديد الفكري، تجديد آخر، هو تجديد الإيمان بالدين، والتمسك بقيمه وأصوله، وتجديد الدعوة إليه، وفق حاجات العصر وظروفه"[٣]. وبالتالي لم يكن ظهور المجددين صدفة، بل نتيجة طبيعية لحاجات الأمة ووعي علمائها بخطورة الانحراف والجمود.

المطلب الأول: الوقوف ضد البدع واستمرار الدعوة إلى الإصلاح:

الفرع الأول: الوقوف ضد البدع والخرافات:

من أهم الأسباب التي جعلت التجديد في علم الحديث ضرورة ملحّة في العصر الحديث: تفشي البدع والخرافات التي أُلبست لبوس الدين، واستندت إلى أحاديث لا أصل لها أو موضوعة. وقد حمّل الشرع علماء الأمة لا سيما المحدثين مسؤولية الذبّ عن السنة

١ السباعي، السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص: ٢٧١. بتصرف.

٢ سورة الحجر: الآية ٩.

٣يوسف القرضاوي، ٢٠١٣م، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ط٧، القاهرة: دار الشروق، ص: ٥٦.

النبوية، كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يَحْمِلُ هذا العِلم مِنْ كُل خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالِ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»[١].

فأما تحريف أهل الغلو: هو "التحريف الذي يأتي عن طريق الغلو والتنطع، والتنكب عن الوسطية التي تميز بها هذا الدين، وعن السماحة التي وصفت بها هذه الملة الحنيفية، وعن اليسر الذي اتسمت به التكاليف في هذه الشريعة"[٢]. وقد حذر الله تعالى من الغلو في الدين، فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾[٣].

وأما انتحال أهل الباطل: فهو الانتحال الذي يحاول به أهل الباطل أن يدخلوا على هذا المنهج النبوي ما ليس منه، وأن يلصقوا به المحدثات والمبتدعات ما تأباه طبيعته، وترفضه عقيدته وشريعته، وتنفر منه أصوله وفروعه.

وأما تأويل أهل الجهل: فهو سوء التأويل الذي يشوه حقيقة الإسلام، ويحرف فيه الكلم عن مواضعه، وتنتقص فيه أطراف الإسلام، فيخرج من أحكامه وتعاليمه ما هو من صلبه، كما حاول أهل الباطل أن يدخلوا فيه ما ليس منه، أو يؤخروا ما حقه أن يقدم، أو يقدموا ما حقه أن يؤخر"[٤].

وقد تصدى لهذه الانحرافات علماء جهابذة، بذلوا جهودا عظيمة في حفظ السنة النبوية، ووضع الضوابط والقواعد التي تضمن سلامة نقلها، وتمييز صحيحها من ضعيفها، والتثبت من أحوال رواتها ونقلتها. يقول المحدث العلامة المعلمي: "ومَنْ مَارَسَ أحوال الرواية وأخبار رواة السنة وأئمتها؛ علم أنَّ عناية الأئمة بحفظها وحراستها، ونفي الباطل عنها، والكشف عن دخائل الكذابين والمتهمين؛ كانت أَضْعَافَ عنايةِ الناس بأخبار دنياهم ومصالحها"[٥].

الفرع الثاني: استمرارية الدعوة إلى الإصلاح :

---

١ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث..، ٢٠٠٣م، ط٣، تح: محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٠، (حديث: ٢٠٩١١)، ص: ٣٥٣؛ والخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، تح: محمد اوغلي، أنقرة: دار إحياء السنة النبوية، ٢٨. قال مهنا: " قيل للإمام أحمد كأنه كلام موضوع، قال: لا هو صحيح". (الخطيب البغدادي، ص: ٢٩).

٢ القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص: ٣٦.

٣ سورة المائدة، الآية: ٧٧.

٤ القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص: ٣٧-٣٩.

٥ عبد الرحمن المعلمي، ١٩٨٦م، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، ط٢، المكتب الإسلامي، ص: ٢٣٤.

إن الأمة الإسلامية كانت ولا زالت وستبقى بحاجة إلى المصلحين المجددين الذين ينيرون لها الطريق، ويسددون لها الخطى، ويوجهون المسيرة إلى هدي الإسلام، فالله تعالى يأمر بالإصلاح في كل شيء، وينهى عن الإفساد، وقد أثنى سبحانه على الصلاح والمصلحين فقال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[١]. وذم الفساد والمفسدين فقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٢].

والتجديد الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مِئة سنةٍ من يُجَدِّدُ لها دينَها»[٣]، هو في حقيقته "إحياء ما اندرس من معالم الدين وانطمس من أحكام الشريعة، وذلك بإعادة ما ذهب من السنن وخفي من العلوم، وإصلاح أحوال الأمة في سائر نواحي الحياة. وجماع ذلك كله إخلاص العبادة لله وحده، والعمل بمقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. ومن مظاهر التجديد أيضًا: إماتة ما ظهر من البدع والمحدثات؛ بتصحيح الانحرافات النظرية، وتنقية المجتمع من شوائبها. ويكون تجديد الدين بأن يقيض الله تعالى للناس في كل رأس مئة سنة من يعلمهم السنن وينفي عنهم البدع"[٤].

وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن الشريعة الإسلامية ذات طبيعة خالدة وأحكامها محدودة، بينما الوقائع والنوازل لا حصر لها، مما يقتضي ضرورة التجديد والاجتهاد المستمر لتمكين النصوص الشرعية من استيعاب المستجدات وتنزيلها على الواقع المتغيّر. و "لأن تقادم الزمان، وبعد الناس عن مصدر الوحي يؤدي إلى اندراس كثير من معالم الدين، وكثرة الفساد، واتساع رقعة الانحراف، وتفشي البدع والضلالات، عندها تصبح الحاجة ملحة، إلى بعثة المجددين، وبروز قيادات إسلامية متميزة تعمل على إظهار الإسلام وتقديمه كما أنزله الله، وتبعد عنه كل العناصر والجزئيات الدخيلة عليه...ولأن الشريعة شاملة للزمان والمكان والإنسان، فكان لابد من التجديد، والمجددين الذين يدلون الناس على صراطهم المستقيم، وترشدهم إلى أحكام الشرع في كل ما يجدّ في حياتهم، ويحمون الإسلام من التحريف الذي يُعد أشد قبحا وخطورة"[٥]. ولا يتأتى القيام بمهمة الإصلاح والتجديد إلا لمن تأهل لذلك علمًا وخلقًا، ومن أبرز صفاته:

---

١ سورة الأعراف، الآية: ١٧٠.

٢ سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

٣ رواه أبو داود في سننه، ٢٠٠٩ م، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح، ٦، (حديث: ٤٢٩١)، ص: ٣٤٩.

٤ مركز رواض الترجمة، ١٤٤١هـ، موسوعة المصطلحات الإسلامية، (د.ط)، الرياض: هنداوي ٦، ص: ٢٢١.

٥ عدنان أمامة، (د. ت)، التجديد في الفكر الإسلامي (د. ط)، دار ابن الجوزي، ص: ٢١-٢٥.

أ. **التمكن العلمي**: أن يكون راسخًا في العلوم الشرعية وآلاتها، قادرًا على ردّ المتشابه إلى المحكم كما يقول المناوي: "له ملكة رد المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق والدقائق النظريات من نصوص الفرقان وإشاراته ودلالاته واقتضاآته من قلب حاضر وفؤاد يقظان"[١].

ب. **الإحاطة بلغة العرب**: قال أبو منصور الأزهري موضحًا أهمية اللغة في مواجهة الشبهات: " فعلينا أَن نجتهدَ فِي تعلُّم مَا يُتوصَّل بتعلمه إِلَى معرفَة ضروب خطاب الْكتاب، ثمَّ السُّنن المبيّنة لجمل التَّنْزِيل، الموضّحة للتأويل؛ لتنتفيَ عَنَّا الشبهةُ الداخلةُ على كثير من رُؤَسَاء أهل الزَّيْغ والإلحاد، ثمَّ على رُءُوس ذَوي الْأَهْوَاء والبِدَع، الَّذين تأوَّلوا بآرائهم المدخولة فأخطئوا، وتكلَّموا فِي كتاب الله جلّ وعزّ بلكنتهم العجميّةِ دونَ معرفةٍ ثاقبة، فضلُّوا وأضلُّوا"[٢].

ت. **العمل بالعلم**: فالمجدد قدوة عملية، يجمع بين العلم والخشية، مصداقا لقول العلماء: "ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية"[٣].

ث. **عموم النفع**: كما قال السيوطي: "لابد في المبعوث على رأس المائة أن يكون نفعه عامًا، إما مطلقًا في الأرض، أو يكون فيه نوع عموم"[٤].

وهكذا يتجدد دور علماء الحديث في كل عصر، فيربطون الأمة بسنة نبيها صلى الله عليه وسلم، وينأون بها عن التحريف والانتحال والتأويل الفاسد، ويقودون جهود الإصلاح الشامل التي تبدأ بتنقية الأحاديث المروية وتنتهي بإصلاح المجتمع.

المطلب الثاني: الحاجة إلى مقاربة مقاصدية تربط علوم الحديث بواقع الأمة ومتطلباتها:

تواجه الأمة الإسلامية في كل عصر مستجدات متغيّرة تستدعي تأصيلًا شرعيًّا ومراجعة منهجيّة، بما يواكب متطلبات الحياة ويستجيب لحاجات الناس. ومن هنا تنبثق الحاجة إلى مقاربة مقاصدية في علوم الحديث، إذ لا يعقل أن يناقش التجديد في هذا الميدان بمعزل عن مقاصد الشريعة التي تشكل روح التشريع ومرجعيته العليا.

فالأصل في التشريع أنه قائم على تحقيق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، وقد تقرر عند جمهور العلماء أن مصالح الناس متجددة غير محصورة، وإن الاقتصار على ما ورد نصًا من دون النظر إلى ما يواكب تطورات الحياة ومصالحها يُفضي إلى تعطيل كثير من المنافع ويجعل التشريع جامدًا غير قادر على مواكبة الأزمنة والأمكنة.

---

١ ينظر: عبد الرؤوف المناوي، ١٣٥٦هـ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط١، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١، ص: ٩.

٢ محمد أبو منصور، ٢٠٠١م، تهذيب اللغة، تح: محمد مرعب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١، ص: ٦.

٣ محمد زقزوق، ٢٠٠٩م، تجديد الفكر الإسلامي، (د. ط)، مصر: وزارة الأوقاف، ص: ٨٧.

٤ جلال الدين السيوطي، ٢٠١٢م، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ٣، ص: ١٠٧١.

وقد عبّر العلماء عن ذلك قائلين: "إن مصالح الناس تتجدد ولا تتناهى، فلو لم تشرع الأحكام لما يتجدد من مصالح الناس، ولما يقتضيه تطورهم، واقتصر التشريع على المصالح التي اعتبرها الشارع فقط، لعُطّلت كثير من مصالح الناس في مختلف الأزمنة والأمكنة، ووقف التشريع عن مسايرة تطورات الناس ومصالحهم، وهذا لا يتفق وما قصد بالتشريع من تحقيق مصالح الناس"[١]. وهذا يؤكد أن الاقتصار على الجزئيات دون استحضار الكليات والمقاصد قد يؤدي إلى تعطيل مقاصد الشرع في تحقيق المصلحة ورفع الحرج.

من هذا المنطلق أصبح واضحًا أن الجمود على النصوص دون النظر إلى واقع الأمة يؤدي إلى اختلال في تطبيق الشريعة، فالعلماء أكدوا أنه: "إذا لم يفتح هذا الباب جَمَدَ التشريع الإسلامي، ووقف عن مسايرة الأزمان والبيئات. ومن قال: إن كل جزئية من جزئيات مصالح الناس، في أي زمن وفي أي بيئة قد راعاها الشارع، وشرع بنصوصه ومبادئه العامة ما يشهد لها ويلائمها، فقوله لا يؤيده الواقع، فإنه مما لا ريب فيه أن بعض المصالح التي تجد لا يظهر شاهد شرعي على اعتبارها ذاتها"[٢].

وبذلك يتبيّن أن النظر المقاصدي يفتح الباب لفهم النصوص الحديثية في ضوء روح الشريعة وغاياتها الكبرى، لا بمعزل عن واقع الأمة ومتطلباتها. فحفظ السنة وتمييز الصحيح من السقيم لم يكن غاية لذاته، بل وسيلة لتحقيق مقصد أعظم وهو ضمان بقاء الهدي النبوي حيًا في حياة الناس. والمقاربة المقاصدية تربط بين الجهد العلمي في نقد السند والمتن وبين الغاية التشريعية المتمثلة في حفظ الدين، وصيانة مصالح العباد، وإقامة العدل، ورفع الحرج عن المكلفين.

ومن هنا نفهم أن علوم الحديث، بما فيها من قواعد كالجمع بين الأحاديث، والنظر في عللها، والترجيح بينها، كلها أدوات تخدم المقاصد الشرعية، وتجعل النص النبوي حاضرًا في كل عصر وفق حاجاته.

والمجدد الحقيقي يجمع بين الإحاطة التامة بالعلوم الشرعية وفهم الواقع المعاصر للأمة، مما يجعل المقاربة المقاصدية أداة ضرورية لربط علوم الحديث بالواقع وتوجيهها لخدمة مصالح المجتمع. وبالتالي فقد أصبح من الضروري اليوم إعادة قراءة علوم الحديث في ضوء مقاصد الشريعة، بما يحقق الصلة الحية بين النص النبوي وواقع الأمة. فالمقاربة المقاصدية لا تنظر إلى الحديث باعتباره نصًا تراثيًا محضا، بل باعتباره خطابًا ربانيًا موجَّها لصناعة الإنسان وإصلاح المجتمع.

المطلب الثالث: الحاجة إلى التبسيط والتيسير في دراسة وتدريس علوم الحديث:

في ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدها العالم الإسلامي في السنوات الأخيرة، بسبب الثورة التكنولوجية المتطورة، وانتشار وسائل الإعلام الحديثة، التي أثرت بشكل كبير على طريقة تفكير الناس، وكيفية تلقيهم للعلم الشرعي، بما فيه علم الحديث، برزت الحاجة إلى التجديد في هذا العلم، وتجديد طريقة تعاملنا معه "ليس في مجرد الشكليات والوسائل فحسب، إنما في جميع عناصر المنهج: تطوير في الأهداف، وفي بناء المحتوى وتنظيمه ولغته، وفي طرق التعليم، والبنية التعليمية...إلى آخر مكونات التعليم

١عبد الوهاب خلاف، (د. ت)، علم أصول الفقه، ط٨، القاهرة: مكتبة الدعوة، ص: ٨٥.

٢ خلاف، علم أصول الفقه، ص: ٨٨.

وعملياته، بما لا يغير الحقائق الشرعية، أو يلبس بالباطل ثوب الحق، أو يتجاوز منهج أهل السنة وقواعدهم في الاستدلال"[١]. وهو ما يدل على أن التبسيط والتيسير جزء لا يتجزأ من التجديد العلمي، لتسهيل استيعاب علوم السنة، كما أن التبسيط لا يعني التفريط أو تغيير الحقائق الشرعية، بل يُقصد به إزالة العوائق أمام الطالب، وتسهيل الوصول إلى الفهم الصحيح للنصوص.

وقد أدرك العلماء المعاصرون أنَّ علوم الحديث على شرفها ودقّتها قد أصبحت صعبة الفهم على كثير من طلبة العلم في العصر الحاضر، بسبب تعقّد مصطلحاتها وتشعّب مباحثها وتباعد لغتها عن الأسلوب التعليمي المعاصر. ومن هنا برزت الحاجة إلى التبسيط والتسهيل؛ لتقريبها إلى الأذهان دون الإخلال بأصولها ومنهجها العلمي المتين.

مظاهر التبسيط في علوم الحديث:

١. تبسيط المصطلحات الحديثية وتقريبها من الواقع المعاصر:

من أبرز صور التبسيط إعادة صياغة المصطلحات الحديثية بما يناسب الفهم المعاصر، مع الحفاظ على المعنى العلمي الدقيق للمصطلح. وقد سلك بعض الباحثين هذا المسلك، ومنهم أبو الليث الخير آبادي الذي أعاد تعريف المحدث فقال: "والمحدّث في عصرنا الذي شهد التقنيات الجديدة المتطورة –الكمبيوتر–الذي حلا لأحد الباحثين أن يسميه حافظ العصر"[٢]. ولا شك أن هذا النوع من التبسيط يجعل المصطلح أكثر قربًا من الواقع المعرفي المعاصر، ويساعد الطلبة على فهم مكانة المحدث ودوره بلغة العصر.

٢. التبسيط في التأليف والمقررات الجامعية:

يُعد كتاب "تيسير مصطلح الحديث" للدكتور محمود الطحان من أبرز النماذج التي مثّلت اتجاه التبسيط في التعليم الحديثي. فقد بيّن المؤلف في مقدمة كتابه سبب وضعه قائلًا: "فعندما كُلِّفت منذ سنوات بتدريس علم "مصطلح الحديث" في كلية الشريعة، بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وكان المقرر تدريس كتاب "علوم الحديث" لابن الصلاح، ثم قررت الجامعة مختصَرَهُ: كتاب "التقريب" للنووي، وجدت مع الطلبة بعض الصعوبات في تدريس هذين الكتابين –على جلالتهما، وغزارة فوائدهما– دراسة نظامية. فمن هذه الصعوبات التطويل في بعض الأبحاث...ومنها صعوبة العبارة... فرأيت أن أضع بين أيدي الطلبة في كليات الشريعة كتابًا سهلًا في مصطلح الحديث وعلومه، ييسر عليهم فهم قواعد هذا الفن ومصطلحاته، وذلك بتقسيم كل بحث إلى فقرات مرقمة متسلسلة، مبتدئا بتعريفه، ثم بمثاله...كل ذلك بعبارة سهلة، وأسلوب علمي واضح، ليس فيه تعقيد ولا غموض... وسميته "تيسير مصطلح الحديث"[٣].

١محمد الدويش، ٢٠١٣م، تطوير العلم الشرعي حاجة أم ضرورة؟، ط١، ص: ١٥٢.

٢محمد الخير آبادي، ١٩٩٩م، علوم الحديث أصيلها ومعاصرها، ط٧، ماليزيا: دار شاكر، ص: ٣٤.

٣محمود الطحان، ٢٠٠٤م، تيسير مصطلح الحديث، ط١٠، مكتبة المعارف، ص: ٦.

ويمثل هذا النموذج مثالًا واضحًا على التيسير المنهجي في العرض، حيث جمع فيه المؤلف رحمه الله بين الدقة العلمية والسهولة التعليمية. كما يرى الدكتور نور الدين عتر أن من الضروري تعريف أبناء الأمة بأساسيات علم الإسناد والرواية في مراحل التعليم المبكرة، فيقول: "لا بد من إعطاء إلمامة موجزة لأبناء هذه الأمة عن الإسناد والرواية والأصول الأهم في علم مصطلح الحديث في مرحلة دراسية مبكرة بما لا يزيد عن عشر صفحات في كل مرحلة يعرفون بها كيف كانت الرواية وكيف حفظت السنة عبر الأجيال، حتى يكونوا متزودين بعلم صحيح بحقيقة المسألة وبذلك نكون قد حققنا لهم حصانة مانعة ووقاية من التأثر بسموم الطعن المختلق أو الاستشكال المصطنع"[١].

٣. تسهيل الوصول إلى المصادر والمعلومات عبر الوسائل التقنية الحديثة:

من المظاهر أيضا ما أتاحته الوسائل القنية الحديثة من سهولة في الوصول إلى الكتب والمصادر الحديثية، وتنزيلها والبحث فيها، مما ساعد على تقريب علم الحديث من المتعلمين والباحثين. فقد أصبحت اليوم مواقع كالمكتبة الشاملة، والدرر السنية، والباحث الحديثي من أهم أدوات الباحث في الحديث، حيث تمكنه من تخريج الأحاديث وبيان درجتها بضغطة زر.

وقد ظهرت في هذا المجال نماذج معاصرة دعت إلى استخدام الحاسوب في خدمة السنة النبوية وتبسيط علوم الحديث، من أبرزها:

- مشروع الدكتور أبي الليث الخير آبادي في تخريج الحديث بالكمبيوتر[٢]، وهو من أوائل المشاريع التي سعت إلى إدخال الحاسوب في مجال تخريج الحديث الشريف.
- مشروع الدكتور محمد مصطفى الأعظمي في استخدام الحاسوب لخدمة السنة النبوية[٣]، وقد دعا فيه إلى الاستفادة من التقنيات الرقمية في جمع السنة وتوثيقها إلكترونيًا.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أ. النتائج:

- تاريخ السنة النبوية شهد جهودًا عظيمة في الحفظ والرعاية، غير أن مسارها لم يخلُ من التحديات التي استدعت نشأة علوم الحديث وتطورها لضمان سلامة النقل والتحقق من المرويات.

١عتر، السنة المطهرة والتحديات، ص: ١٨٢.

٢انظر: محمد أبو الليث الخير آبادي، (١٩٩٩م)، تخريج الحديث نشأته ومنهجيته، ط١، ماليزيا: دار شاكر، ص: ١٨٩.

٣انظر: مجموعة مؤلفين، ١٩٩٢م، استخدام الحاسوب في العلوم الشرعية، (د. ط)، السعودية: منظمة المؤتمر الإسلامي، ص: ٢٥٥.

- من أبرز التحديات القديمة: ظاهرة الوضع والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، وإنكار حجية السنة، وهي دوافع دفعت العلماء إلى وضع مناهج دقيقة في الجرح والتعديل، والتمييز بين الصحيح والضعيف، حفظا لمقام السنة ومكانتها في التشريع.

- أما التحديات المعاصرة فتتجلى في انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وسوء استخدام الوسائل التقنية كالاعتماد المفرط على الحاسوب في البحث والتوثيق دون الرجوع المباشر إلى المصادر الأصلية، مما أضعف ملكة التحقيق والتمحيص لدى طلبة العلم.

- أما دوافع التجديد في علوم الحديث، فتنبثق من الحاجة إلى مقاربة مقاصدية تعيد ربط النصوص بمقاصدها الكبرى، ومن ضرورة تنقية السنة من البدع والخرافات التي علقت بها، ومن الحاجة إلى التبسيط والتيسير في عرض علوم الحديث وتدريسها بما يلائم متطلبات العصر ويحافظ على روح المنهج العلمي للأئمة.

- أن التجديد المطلوب في علوم الحديث لا يعني المساس بثوابتها، بل تطوير طرائق عرضها، وصياغة مناهجها بما يحقق الجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويحافظ على مكانة السنة في مواجهة الهجمات الفكرية.

- إن التجديد في علوم الحديث لم يأتِ استجابة لتطور الزمن فحسب، بل هو ضرورة علمية وواقعية اقتضتها التحديات التي تواجه السنة النبوية قديمًا وحديثًا، وهو تجديد يروم إحياء المنهج الحديثي بروح معاصرة تحفظ الأصول وتفتح آفاق الفهم والعمل.

ب. التوصيات:

- الاهتمام بتقريب علوم الحديث للطلبة بطريقة واضحة وبسيطة في الفهم، حتى يتمكن الجميع من إدراك قواعد هذا العلم دون تعقيد.
- الاستفادة من البرامج والوسائل الرقمية الحديثة بشكل واعٍ.
- التشجيع على اعتماد طرق تعليم حديثة، تجمع بين ما وضعه العلماء القدامى وبين الأساليب المعاصرة التي تساعد على الفهم والتحليل.
- العمل على دراسة التحديات الجديدة التي تواجه السنة في مواقع التواصل، والبحث عن طرق مناسبة للرد عليها.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، تح: أبو عبيدة آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م.
- أبو عبد الله ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمَّد كامل بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م.
- أبو يعلى الخليلي، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح: محمد سعيد إدريس، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.

- أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤م.
- أحمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٣٥هـ.
- أسماء وجيه أبو صفية، ٢٠١١م، الصحبة في ضوء القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية–غزة (كلية أصول الدين).
- إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: مصطفى البغا، ط٥، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٣م.
- أيمن مهدي، السنة النبوية في مواجهة التحديات والشبهات المعاصرة، ط١، ٢٠٠٥م.
- تقي الدين ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تح: محمد رشاد سالم، ط١، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٦م.
- *جريدة استدامة نيوز متخصصة في الشأن الاقتصادي*، https://estedamanews.com/٤٠٤٨٩/.
- جلال الدين السيوطي، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.
- جلال الدين السيوطي، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تح: محمد الصباغ، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٤م.
- جلال الدين السيوطي، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ٢٠١٢م.
- جمال الدين ابن الجوزي، الموضوعات، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط١، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٩٦٦م.
- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.
- جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ط١، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٤٦م.
- رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، مؤسسة هنداوي، ٢٠١١م.
- الزمخشري، ١٩٤٧ م، الكشاف، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي.
- سيف الدين الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ط٢، الرياض: مؤسسة النور، ١٣٨٧هـ.
- شرف الحق، العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.
- شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، تح: زكريا عميرات، ط١، بيروت: الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
- طاهر الجوابي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، (د. ط)، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، (د.ت).
- عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، ط١، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.
- عبد المجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ط٢، بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٨م.
- عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ط٨، القاهرة: مكتبة الدعوة.
- عدنان أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، (د. ط)، دار ابن الجوزي، (د. ت).
- عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عبد السلام تدمري، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٩٧م.
- علي بن عساكر، تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: محب الدين العمروي، دار الفكر، ١٩٩٥ م.
- غيثان علي جريس، افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية، ط٤، ١٤١٨هـ.
- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط١، دار الإرشاد، ١٩٦٩م.

- مجموعة مؤلفين، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط٤، دار الندوة العالمية، ١٤٢٠ هـ.
- محمد أبو الليث الخير آبادي، تخريج الحديث نشأته ومنهجيته، (د. ط)، ماليزيا: اتحاد بوكدبوديوبند، (د.ت).
- محمد أبو الليث الخير آبادي، علوم الحديث أصيلها ومعاصرها، ماليزيا: دار الشاكر، ٢٠٠٠م.
- محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، ط١، مكتبة السنة، ١٩٨٩ م.
- محمد أبو منصور، تهذيب اللغة، تح: محمد مرعب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.
- محمد الدويش، تطوير العلم الشرعي حاجة أم ضرورة؟، ط١، ٢٠١٣م.
- محمد بن إدريس الشافعي، الأم، ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣ م.
- محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، ط١، مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٨م.
- محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١ م.
- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أحمد عزو، ط١، دمشق: دار الكتاب العربي، ١٩٩٩م.
- محمد زقزوق، تجديد الفكر الإسلامي، مصر: وزارة الأوقاف، ٢٠٠٩م.
- محمد شحرور، السنة الرسولية والسنة النبوية، ط١، دار الساقي، ٢٠١٢م.
- محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ط١٠، مكتبة المعارف، ٢٠٠٤ م.
- محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط٢، القاهرة: دار المنار، ١٩٨٩م.
- مركز رواد الترجمة، موسوعة المصطلحات الإسلامية، الرياض، ١٤٤١هـ.
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٥ م.
- مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي١٩٨٢م.
- نخبة من اللغويين، المعجم الوسيط، مادة: شرق، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٢م.
- يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ط٧، القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٣م.